المقدمة

لقد أتاح الموقع الجغرافى الفريد للدلتا أن تصبح فى ملتقى التجارة العالمية بين الشرق والغرب بطريق البر والبحر، مما ساعد على ازدهار الحياة الاقتصادية فى العصر الفاطمى، فبرزت مدن ذات أهمية اقتصادية فائقة على الطرق التجارية فعلى سبيل المثال نشطت حركة التجارة بمدن الحوف الشرقى وزخرت بكافة المنشآت التجارية التى لبت احتياجات التجار القادمين والنازحين من وإلى مصر وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية، فضلا عن المدن الساحلية كدمياط والفرما والإسكندرية التى ضربت بسهم وافر فى مجال التجارة الداخلية والخارجية على حد سواء بحكم وقوعها على ساحل البحر المتوسط.

ومما ساعد على الرواج التجارى شهرة الإقليم بزراعة كافة المحاصيل كالتمر وقصب السكر والكتان الأمر الذى أدى إلى قيام صناعات متعددة، ومن أهمها صنعة النسيج التى قامت على الإنتاج الزراعى حيث حازت على شهرة عظيمة وكانت تصدر إلى كافة أنحاء العالم.

ولم يغفل الخلفاء الفاطميون أهمية الإقليم الاقتصادية، فاخذوا على عاتقهم عبء الدفاع عنه وصد المغيرين فعلى سبيل المثال- لا الحصر- حشدت تنيس جيشا كامل السلاح والعدة للدفاع عنها.

أما على الجانب الاجتماعى فلقد شهد الإقليم هجرات القبائل العربية النازحة عقب الفتح العربى لمصر عبر سيناء، واستقروا فى كافة أنحاء الاقليم وانصهروا مع الأقباط واستفادوا من خبرتهم فى شئون الزراعة التى مارسها العرب فيما بعد.

أما بالنسبة للحياة الثقافية فشهدت مدينة الإسكندرية هجرة العلماء النازحين من كافة البلاد وبصفة خاصة بلاد المغرب، وكانت من أكبر معاقل الثقافة الإسلامية انذاك للدراسين فى كافة العلوم الدينية.

ورغم حرص الخلفاء الفاطميين على نشر المذهب الشيعى بكافة الوسائل فى مصر نجد أن الاسكندرية صمدت واتخذت موقفا معاديا من المذهب الشيعى حتى نهاية العصر الفاطمى.

كما شارك شعراء الاقليم بدور فعال فى إثراء الحياة الثقافية. وقد شهدت الدلتا ازدهارا فى كافة المجالات ونلمس ذلك بوضوح من خلال إشارات الرحالة الذين مروا بمدن الإقليم فى العصر الفاطمى وامتدحوه بعبارات رائعة ن مما استرعى انتباهى ودفعنى لدراسة ذلك الازدهار ورصده واظهاره فى كافة النواحى.

وقد قسمت بحثى إلى أربعة أبواب، فتناولت فى الباب الأول عوامل ازدهار الحياة الاقتصادية وعوامل تدهورها وجعلته من فصلين، خصصت الفصل الأول لعوامل ازدهار الحياة الاقتصادية فى الدلتا، ومن أهمها الموقع الجغرافى، والمحاصيل الزراعية بالإقليم كالقمح والأرز والكتان وغير ذلك وأشرت إلى الثروة الحيوانية إلى جانب توافر المواد الخام المعدنية كالفضة والنطرون وكذلك استباب الأمن.

وفى الفصل الثانى عالجت الدراسة عوامل تدهور الحياة الاقتصادية كالاضطرابات السياسية الأمر الذى أدى إلى تفشى الفوضى فى ربوع الدلتا ، وتصدى خلفاء الدولة الفاطمية للقضاء عليها وأشرت إلى ثورة السودانيين وما ارتكبوه من أعمال تتصف بالوحشية، مما زعزع الاستقرار إلى حد ما بالدلتا آنذاك.

وكذلك ألقيت الضوء على أثر التهديد الصليبى لمدن الدلتا الساحلية كدمياط والفرما، وكذلك تنيس على الحياة الاقتصادية.

كما أشرت إلى العوامل الطبيعية والتى تمثلت فى عدم ثبات النيل عند مستواه المائى للرى، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار وتفشى الأوبئة والمجاعات.

وتناولت فى الباب الثانى دراسة الحياة الاقتصادية وقسمته على أربعة فصول تناولت فى الفصل الأول الموارد المالية فتحدثت عن الخراج والجزية والزكاة والمكوس والأحباس والمستغلات والمواريث الحشرية كما أشرت إلى المصروفات.

وفى الفصل الثانى تناولت بالبحث الزراعة مشيرا إلى نظم الرى كرى الحياض والرى الدائم والرى بالالات، وإلى الترع والخلجان وإلى الجسور السلطانية والبلدية، وإلى أقسام الأراضى الزراعية وملكيتها وإلى الدورة الزراعية الصيفية والشتوية إلى جانب أدوات الزراعة والثروة الحيوانية.

وفى الفصل الثالث تناولت بالدراسة الصناعة، فأشرت إلى صناعة النسيج وصناعة السكر والعسل وصناعة الزيوت وصناعة الزجاج والخزف وصناعة السفن، وصناعة طحن الحبوب وكذلك صناعة الحصر وورق البردى.

وتحدثت فى الفصل الرابع عن التجارة، فأشرت إلى مراكز التجارة الداخلية بشرق الدلتا كبلبيس وقليوب واشموم طناح ودقهلة وكذلك مراكز التجارة الداخلية بوسط الدلتا كالمحلة وأبيار، ومراكز التجارة الداخلية بغرب الدلتا كدمنهور وفوه.

وأشرت إلى الأسواق المحلية ونظمها والموازين والمكاييل والمعاملات المالية وطرق التجارة الداخلية البرية والبحرية.

كما ألقيت الضوء على التجارة الخارجية متناولا مدنها كدمياط وتنيس والفرما والإسكندرية ورشيد. إلى جانب طرق التجارة الخارجية وعلاقات هذا الاقليم بالبلاد المجاورة.

أما الباب الثالث فخصصته لدراسة الحياة الاجتماعية فى الدلتا وقسمته إلى فصلين ، تناولت فى الأول منهما عناصر السكان ملقيا بعض الضوء على القبائل العربية النازحة إلى هذا الإقليم من عدنانية وقحطانية، إلى جانب عنصر المغاربة والسودانيين.

كما أشرت إلى أهل الذمة من الأقباط واليهود واستيطانهم فى بعض المدن التجارية بالدلتا.

وعالجت فى الفصل الثانى منهما الحياة الاجتماعية لعناصر السكان، فأشرت إلى المرأة بعض العادات والتقاليد المتبعة فيه، كعادات الزواج والولادة والختان مشيرا إلى المساكن فى المدن والقرى والملبس والطعام والشراب والجنائز.

والقيت بعض الضوء على أهم الأعياد والمواسم الدينية الاسلامية والقبطية مشيرا إلى طرق احتفالاتهم بها ووسائل التسلية والترفيه فى هذا المجتمع آنذاك.

وفيما يختص بالباب الرابع تناولت بالدراسة الحياة الثقافية وقسمته إلى فصلين فى الأول منهما مراكز العلم والحياة فيها فأشرت إلى الكتاتيب والمساجد والمدارس والربط الخوانق والزوايا وإلى الحياة العلمية كالطب وعلم اللغة والنحو والتاريخ والجغرافيا.

وعالجت فى الفصل الثانى العلوم الدينية والدراسات الأدبية، فألقيت الضوء على ثغور الدلتا الإسلامية وإلى دراسة العلوم الدينية التى كانت تدرس بالاقليم كعلم القراءات والتفسير والحديث والفقه وفى الدراسات الأدبية تناولت بالدراسة أهم شعراء الدلتا الذين ساهموا فى النشاط الثقافى كابن وكيع التنيسى وابن قادوس وابن ظافر الحداد وغيرهم.

وذيلت بحثى بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج التى توصلت إليها خلال فصول الدراسة، معتمدا فى ذلك على ما وقع لدى من مصادر ومراجع.

والله ولى التوفيق،،

الباحث

عبد الحميد حسين محمود حموده